سؤال الدهور

للقس توفيق جيد

" لماذا تحيا الأشرار ؟ " (أي 21: 7)

ذلك كان سؤال أيوب الصديق المغمور بكل شدة وضيق انني أتخيله يلقى جانبا الشقفة التي كان يحتك بها بسبب داء الحكة الذي كان مصابا به ، ويرفع حاجبيه المتورمين ويفتح شفتيه اليابستين الداميتين قائلا لأصحابه المعيرين له:

" لماذا تحيا الأشرار ؟ "

وهذا هو عين السؤال الذي يسأله شعب الله في جميع العصور والدهور . ولعل الذين يسألون هذا السؤال لا يلامون بل يعذرون . ذلك لأن الأشرار قد يعمرون طويلا بينما الأبرار ينطلقون باكرا. آن منسي أشر ملوك يهوذا كان أطول عمرا من الجميع ، والأشرار لا يعمرون طويلا فقط ولكنهم يعيشون في فراديس من الرفاهية والتنعم . فبينما نرى اليا البار نبي النار يعيش في فقره نرى آخاب الشرير يعيش في قصره . وبينما نرى ايليا نبي الله نزيلا عند أرملة بائسة لتعوله بل نراه ضيفا على الغربان التقدم له طعامه ، نرى آخاب الملك الشرير يرتع في بحبوحة من العيش ويأكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب . وبينما نرى بولس القديس رسول المسيح الأمين الغيور يفتل حبالا ليصنع خياما نرى هيرودس النجس الرجس جالسا فوق العرش يلبس البز والأرجوان و ينام على الحرير والدمقس . لذلك لا غرابة أن كان شعب الله في كل جيل يضمون أصواتهم مع أيوب الصديق في قوله : « لماذا تحيا الأشرار ؟»•واذ نحاول بنعمة الله أن نرد على سؤال الدهور هذا.

نذكر الأسباب الآتية.

1- تحيا الأشرار اثباتا لأناة الله:

نحن البشر اذ نرى الأشرار في الحياة والوجود ، بل اذ نراهم في مجد وسؤدد تغلى نفوسنا كالمرجل في داخلنا و نقول اننا لا نطيق أن نرى الأشرار في هذه الحال ، وأعتقد أننا لو أعطينا السلطان لابادتهم واستئصالهم لما تردد نا في ذلك. غير أننا نجد أنفسنا مضطرين أن نقبل هذا الوضع على مضض وعلى كره منا . أما الله الذي يملك كل وسائل القدرة الابادة جميع الأشرار في لحظة ، الله الذي عيناه أطهر من أن تنظرا الشر ، الله هذا يحتمل الأشرار قرنا بعد قرن ليثبت حقيقة صبره وامهاله وطول أناته ،

آن بقاء الأشرار في الوجود يجعلنا نقرأ فوق كل الأرض من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب ، تقرا فوق كل التاريخ ، نقرأ بحروف بارزة هذه الكلمات ; بر الله » ، « طول أناة الله »، « امهال الله » .

و يخيل إلى أنه في بعض الأحايين يتقادم أحد الملالية إلى الله و يقول :« ربي اسمح لي أن أطلق مدفعيات سواعقك على هؤلاء الأشرار فقد حان الوقت لابادتهم ، وكاني بالله يرد عليه قائلا : « لست تعلم من أي روح أنت . أتركهم قرونا أخرى لعلهم يتوبون فأرحمهم ». أن ما يحجم الله عن عمله أعجب مما يقدم الله على عمله ، (فماذا أن كان الله وهو يريد أن يبين قدرته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك ! ». ما أعجب أناة الله ! فالأشرار تحيا لاثبات طول اناة الله .

2- تحيا الأشرار تبريرا لأحكام الله :

« لكى تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك » أن الأشرار يحيون وتطول حياتهم الشريرة لكي يكدسوا شرهم عاليا ويعلوا شرهم الى الغمام ليراه الجميع ، حتى متى ضرب الله ضربته وأصدر أحكامه على الأشرار يكون مبررا في أحكامه أن الشرير في نهاية الأمر لابد أن يلقي القبض عليه ولا بد أن توضع الأغلال في يديه ورجليه ، ولا بد أن يوضع في قفص الاتهام ، ولا بد أن يحكم عليه بالاعدام ، ومتى تم ذلك فان جميع الناظرين يقولون : " بار أنت يارب وأحكامه مستقيمة "

3 - تحيا الأشرار خدمة لأبناء الله:

ان الله كثيرا ما يسخر الأشرار وأعمال الأشرار لخدمة أولاده وشعبه كما نقرأ في تاريخ كورش و نبوخذ نصر . بني جماعة من الملحدين في أمة مسيحية جامعة فسيحة الأرجاء وكان مجلس ادارة الجامعة مكونا من أعداء المسيحية وبعد أن بدىء بالعمل فيها لم يجد أصحابها اقبالا عليها ومنيت بالفشل الذريع ، ومن ثم عرضت للبيع فاشترتها كنيسة من الكنائس وتحولت تلك الجامعة من حصن للالحاد الى حصن للمسيح وكنيسة المسيح . فلئن كان الشيطان قد بناها الا أن المسيح وضع اليد عليها ، وبذلك تحقق قول الوحي : " غضب الانسان يحمدك بقية الغضب تتنطق بها."

4- تحيا الأشرار شهادة لرحمة الله :

أن الأشرار اذ تفتقدهم نعمة الله يتحولون إلى نصب تذكارية لرحمة الله . في هذا يقول الرسول : « صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا .. لكنني لهذا رحمت ليظهر

يسوع المسيح في أنا أولا كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية ، وهذا يصدق على كثيرين أمثال يوحنا نيوتن ويوحنا بنيان وأغسطينوس . أجل فان أساطيل من السفن الخارجة من ترسانات الشيطان والتي كان الشيطان فيها القبطان ضبطها يسوع ورفع عليها علمه مكتوبا عليه : " عمانوئيل ". ان الله يسمح للأشرار أن تحيا ليصنع منهم لآلىء درية ثمينة - ليصنع منهم ألسنة من نار تشهد له ، لا بل ليصنع منهم جنودا صناديد يحاربون حروبه.

5- تحيا الأشرار تأييدا لدينونة الله:

يبدو أن قواعد العدالة والإنصاف لا يراعي تطبيقها في العالم الحاضر الذي فيه نرى الأشرار في الأعالي والأبرار في الأسافل ، لذلك كان من الضروري أن يكون هناك عالم آخر فيه يرفع الأبرار من تحت أقدام الظالمين ويداس الأشرار تحت الأقدام إلى أبد الآبدين ، أن العدالة تقتضي أن يكون هنالك مكان للانصاف . الله يأبى أن يحذف من برنامجه يوم الدينونة . انه يأبى الا أن يكون تعديل للاوضاع . آن عقلي لا يمكن أن يصدق أن ذلك الشرير الممتلىء

بالرجاسات الذي ينهب بيوت الأرامل الذي لا يلذ له سوي سماع أصوات انكسار القلوب وصياح المعذبين واليائسين ـ آن انسانا كهذا يموت ويتلاشي وينتهى أمره بخيراته التي استوفاها في حياته.

كما أنه لا يمكن لعقلى أن يصدق أن ذلك الانسان المؤمن الذي عاش ذليلا مداسا مظلوما يموت هو أيضا و يتلاشي وينتهى أمره ببلاياه التي استوفاها في حياته . هذا لا يمكن أن يكون ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه يقال : " :يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك العازر البلايا والآن هو يتعزى وأنت تتعذب."

ملاحظات ختامية

١- الشرير وفرصته :

لماذا يسمح الله للشرير أن يحيا ؟ يرد الرسول بطرس بالقول : « لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة »، « احسبوا أناة ربنا خلاصا « ويرد الرسول بولس قائلا :« أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله انما يقتادك إلى التوبة « اغتنم الفرصة اذا أيها الشرير ، أسرع وانزع علم بعلزبول وارفع علم عمانوئيل•

٢ -الشيطان ونهايته :

نحن نتساءل : ان كان الله قد وعد بتقييد الشيطان وطرحه في الهاوية فلماذا لا يفعل ذلك الآن ؟ أن الله يطيل أناته على ذلك القائد الأعلى لكل شر ذلك الكائن الذي فيه تتركز وتتبلور كل دناءة وحطة ـ يطيل أناته عليه ليكون سقوطه عظيما . سيجيء اليوم الذي فيه يتحقق القول:

" وابليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون نهارا وليلا الى أبد الآبدين ".

منقول مع التعديل

أرجوا أن تكون هذه العظة سبب بركة وخلاص لكل من يقرأها

صفوت زكي سمعان